المنتقى من

كتاب الرهبان لابن أبي الدنيا[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

1 – عن وهب بن منبه قال:

مر رجل براهب في بني إسرائيل فقال : يا راهب ! كيف ذكرك للموت قال : ما أرفع قدمًا ولا أضع أخرى حتى أرى أني ميت، قال : كيف نشاطك للعبادة ؟ قال : ما أرى أحدًا يسمع بذكر الجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يصلي فيها . فقال له الرجل : إني لأصلي فأبكي حتى ينبت البقل حولي من دموعي . فقال له الراهب : إنك إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل[2] بعملك . إن صلاة المدل لا تجاوز رأسه . قلت : يا راهب أوصني . قال : أزهد في الدنيا ولا تنازعها أهلها . وكن كمثل النحلة لا تأكل إلا طيبًا ولا تضع إلا طيبًا ، وإن وقعت على شيء لم تكسره . وانصح الله نصح الكلب لأهله فإنهم يجوعونه و يطردونه وهو يأبى إلا أن يحيط بهم[3].

---

(١) الكتاب الأصل في عداد المفقود والمنتقي لهذا الكتاب مجهول لا يعرف. وقد نسخت النص من تحقيق صلاح الدين المنجد للكتاب. وله طبعة ثانية بتحقيق محمد خير رمضان يوسف– عمَّان: دار الفتح للدراسات والنشر، 1433 هـ ولم أقف عليها.

(٢) المدل: الواثق المعجب المغتر بعمله. وانظر «إغاثة اللهفان» لابن القيم (1/ 82).

(٣) رواه أحمد في «الزهد» (502) وابن أبي شيبة (36315) وأبو نعيم في «الحلية» (4/ 27) وزاد: فكان وهب بن منبه إذا ذكر هذا الحديث قال: واسوأتاه إذا كان الكلب أنصح لأهله منك لله.

٢ – عن سفيان بن عيينة قال :

نظروا إلى راهب وهو يخرج من نحو الجبل فقالوا له : أين تريد ؟ قال : أطلب العيش . قالوا : خلفت العيش وراءك في المدينة . قال : وما تعدون العيش فيكم ؟ قالوا : الطعام واللباس والشهوات . قال : ليس هو عندنا هكذا. إنما العيش عندنا أن تدعو أطوارك إلى طاعة الله فيحييك [٤].

3 – عن عبد الرحمن بن حفص الجمحي:

أن قوما أرادوا سفرا ، فحادوا عن الجادة ، فانتهوا إلى راهب منفرد في ناحية من الناس . فنادوه فأشرف عليهم من حبيسه[٥] ذلك. فقالوا : إنا قد أضللنا عن الجواد فكيف الطريق ؟ فقال : من هنا الطريق ، وأومأ لهم إلى السماء . فعلم القوم الذي أراد . فقال بعضهم لبعض : سلوه . قالوا : إنا سائلوك فمجيبنا أنت ؟ قال : سلوا ولا تكثروا ، فإن النهار لن يرجع ، وإن العمر لن يعود ، والطالب حثيث في طلبه ذو اجتهاد . تزودوا على قدر سفركم ، فإن خير الزاد ما بلغ البغية ، قال : ثم أرشدهم إلى المحجة وأدخل رأسه في حبيسه[٦].

4 – أبو عبد الله المغازلي الزاهد قال :

---

(٤) في «المجالسة وجواهر العلم» (855) وعنده: (فتجيبك) بدل: (فيحييك).

(٥) في المطبوع: (حبيسته) والتصويب من «عيون الحكايات» لابن الجوزي ص129، وفي أمالي الذكواني (ق9/ ب): (حفشه).

(٦) رواه في «المجالسة وجواهر العلم» (735) عن ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين؛ قال: أراد قوم سفرا، فضلوا عن الطريق، فانتهوا إلى راهب منفرد في ناحية، فصاحوا به، فأشرف عليهم، فقالوا له: إنا قد أضللنا الطريق؛ فأين الطريق؟ فقال لهم: هاهنا. وأومأ إلى السماء؛ فعلموا الذي أراد، فقالوا: إنا سائلوك. فقال سلوا ولا تكثروا؛ فإن النهار لن يرجع، والعمر لن يعود، والطالب حثيث. فقالوا له: ماحال الخليقة عند مليككم غدا؟ فقال: على قدر نياتهم وعلى ما قدموا من أعمالهم. قال: ثم قال: تزودوا على قدر سفركم؛ فإن خير الزاد ما بلغ المحل. قال: ثم أرشدهم المحجة.

مر رجل براهب . فناداه ، فأشرف عليه فقال : يا أيها الراهب ! متى يخلو القلب والبدن من حب الدنيا ؟ قال : فصرخ الراهب صرخة انحط مغشيا عليه في صومعته . فلم يزل الرجل يراقبه حتى أحس بإفاقته ، فناداه : أنا منذ اليوم منتظرك أيها الراهب . فأشرف عليه فقال : يا هذا ! ما الذي تريد مني ؟ والله لا يخلو القلب والبدن أبدًا من حب الدنيا ، والعين تنظر إلى أهلها والأذن تسمع إلى كلامهم ، هو والله ما أقول لك ، حتى يأوي مريد الله إلى أكتاف الجبال وبطون الأودية والغيران يظل مع الوحش يرد مواردها ، ويأكل من أجنة الشجر في أظلتها، لا يرى في ذلك أن النعمة أتم على أحد منها عليه[٧] .

5 – عن وهب بن منبه قال :

أتى إبليس راهبًا تخلى في صومعته في زمن المسيح. فأراه إبليس .... [٨] فلم يقدر عليه . فأتاه متشبهًا بالمسيح فناداه : أيها الراهب ؟ أشرف حتى أكلمك . قال : انطلق لشأنك ، فلست أقدر على رد ما مضى من عمرى . قال : فأشرف علي فأنا المسيح ، قال : إن كنت المسيح فما بي إليك من حاجة . أليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي بك . فانطلق عنه اللعين وتركه.

6– عن سفيان قال:

قيل لراهب من الرهبان : تخليت من الدنيا وتركتها فممَّ ذاك ؟ قال : خوفا والله من الآخرة أن تتخلى مني وتتركني[٩] .

---

(٧) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (40). ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (55/ 227) من كلام علي بن محمد البصري، وزاد: وكيف وأنى له بالنجاة والتخلص وقد بقيت بين يديه عقبة صعود كؤود قال: قلت: وماهي؟ قال: إبليس متصديًا على باب الله يريد أن يقطع ظهره بالغلبة حتى يقف من الله مواقف العابدين.

(٨) في «الحلية» (4/ 44): فأراد إبليس أن يكايده فلم يقدر، ثم أتاه بكل زائدة فلم يقدر عليه، وفي «تلبيس إبليس» ص28: فأراده إبليس فلم يقدر عَلَيْهِ فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عَلَيْهِ.

(٩) في المطبوع: (يتخلى مني ويتركني).

7- عن حسان بن عطية قال :

يستحب أن يؤمن على دعاء الراهب ، قال : يستجاب لهم فينا ، ولا يستجاب لهم في أنفسهم[١٠].

8 - عن أبي بكر بن مسافر السلمي قال :

رأى عمر بن عبد العزيز راهبًا بدير سمعان ، فجرى بينهما كلمات ، فقال عمر في آخر كلماته : يا راهب ! لو دخلت في الإسلام . قال : يا أمير المؤمنين ! دينك جديد وأنت منه على نضارة ، وأصحابك به مستبشرون . ودِيني قد خَلِقَ وتغير أهله ، وإن تعش يا أمير المؤمنين حتى يَخْلَقَ دينك فسترى من تغير ... ... تنكره لا ما تعرفه.

9- حدّث ابن السمّاك قال :

سألت بعض رهبان الأكيراح[١١] فقلت: خبرني لِمَ سمي الاجتماع في المصيبة مأتمًا ؟ قال : فبكى، ثم قال : إنما سمي مأتمًا لأن المجتمع عليه من أجله لم يتم . ثم قال : تدري من أول من سماه مأتمًا ؟ قلت : من ؟ قال : كان في زمن داود عليه السلام رجل يعمل الخوص ، وإن بني إسرائيل سألوه أن يعمل في من الخوص شيئا يكنهم من الشمس إذا قاموا إلى الصلاة في بيت المقدس .

---

(١٠) رواه ابن أبي شيبة (30454) وإسحاق بن راهويه في مسنده (1686). وعن عائشة رضي الله عنها: أن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك، قال: «وعليكم» فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف، أو الفحش» قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: «أولم تسمعي ما قلت، رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في» . رواه البخاري (6401).

(١١) الأكيراح رستاق نزه بأرض الكوفة، والأكيراح أيضًا: بيوت صغار تسكنها الرّهبان الذين لا قلالي لهم، يقال لواحدها كرح، بالقرب منها ديران، يقال لأحدهما دير مرعبدا وللآخر دير حنّة، وهو موضع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض. «معجم البلدان» (1/ 242).

قال : فأخذ هو وبنوه في عمله ، وكانت بنو إسرائيل تروح وتغتدي عليه يسألونه عن ذلك فيقول : ما تمّ بعد ، ويقول : لو قد تمّ دفعته إليكم ، قال : فبينا هو كذلك إذ نزل به الموت فمات . قال : فجاءت بنو إسرائيل وهم يظنون أنه قد فرغ منه فوجدوه ميتًا ووجدوه لم يتم . فقالوا : ما تمّ ما تمّ ، واجتمعوا يبكون عليه و يقولون : ما تم ما تم. قال : فهو أول ما سمي الاجتماع في المصيبة مأتمًا.

١٠ – عن الفضيل بن شعبة[١٢] قال :

ما لقيني حسان الراهب قط إلا قال لي : انظر ، لا تطفئ المصباح من بيتك فيدخل عليك اللصوص فيخرجونك[١٣] . يقول : نوّر بيتك بذكر الله[١٤] .

١١ – عن مالك بن دينار قال :

قال راهب من الرهبان : يا مالك بن دينار ! إن استطعت أن تجعل بينك و بين الناس سورًا من حديد فافعل . وانظر كل جليس وصاحب لا ..... في دينك شيئًا ... عنك صحبته[١٥] .

---

(١٢) في «المجالسة» (856): (المفضل بن سعيد) وفي «تاريخ دمشق» (55/ 228): عن يزيد الحميري، وهو يزيد بن شجعة الحميري.

(١٣) في «تاريخ دمشق»: (فيحاربونك)، وفي «مختصره»: (فيحزنوك).

(١٤) زاد في «تاريخ دمشق»:قلت ليزيد: ما أراد بذلك حسان؟ قال: أراد أن لا تخلي قلبك من ذكر الله فيدخل عليك الشيطان فيفسد عليك أمر دينك.

(١٥) رواه ابن أبي الدنيا في «العزلة» (155) لكن دون ذكر الراهب، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد كتاب «الزهد» (1877) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (897) ولفظه: عن مالك بن دينار، رضي الله عنه أنه قال لختنه مغيرة: يا مغيرة، أبصر كل أخ لك، وصاحب لك، وصديق لا تستفيد منه في دينك خيرًا، فانبذ عنك صحبته؛ فإنما ذلك عدو ووبال، يا مغيرة، الناس أشكال، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والصعو مع الصعو، وكل مع شكله.

١٢ – عن عارم قال :

قال لي بعض الرهبان : نُح على أيام الدنيا على قلة المتعاونين على النياحة .

١٣ – عن سعيد بن عمرو المخزومي قال :

نزل خالد بن الوليد الحيرة ، فأرسل إلى عمرو بن قيس العبادي ، وكان من المعمرين . فأتاه فسأله : من أين نزلت ؟ قال : من صلب والدي . قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي . قال : وعن هذا سألتك ؟ ألا تخبرني عن هذه الحصون لم بنيتموها ؟ قال : بنيناها خوفًا من الجاهل حتى يجيء[١٦] الخارج . قال : فحدثني بأعجب شيء رأيته ، قال : أعجب ما رأيته منذ رأيته أني رأيت المرأة من أهل الحيرة تخرج بزادها في زبيلها إلى الشام فلا تحتاج إلى زاد حتى تبلغ الشام من الدثور والعمران . قال : كم[١٧] أتى عليك ؟ قال : ثلاث مئة وأربعون سنة.

14 – عن علي بن الأشهب قال :

قال قيصر لعدي بن حاتم : أخبرني عن أصحاب هذا الرجل . قال : ليوث بالنهار ورهبان بالليل ، لا يدخلون البيوت إلا بإذن ولا يأكلون الطعام إلا بثمن . قال : أخلوا لهم الأرض والحقوا ببطون الأودية والشعاب .

15 – عن أبي بكر بن عياش :

أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله مر براهب في طريق الشام ، فناداه ، فأشرف عليه ، فإذا شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه ، فرفعهما بيده ثم قال : أنت يا عمر ملك الأرض فكيف بك إذا دعاك ملك السماء فعرض حكمك على حكمه ، أي رجل أنت حينئذ يا عمر ؟ قال : فبكى بكاءً

---

(١٦) لم تتبين للمحقق.

(١٧) ليست في المطبوع.

شديدًا ثم قال : أوصني أيها الراهب . قال : أوصيك بحفظ نفسك عن سبل الهلكات . قال : زدني . قال : ولا تدعن لنفسك على نفسك حجة ، هو الله ... يعلم سرك و ... ... يعلم ما تكسبون . انطلق عني يا عمر.

16 – أبو بكر بن عياش قال :

بينا راهب مشرف من صومعته إذ هو بسبع قد افترس غلامًا. فلما نظر الغلام إلى الراهب قد أشرف ناداه الغلام : أيها الراهب ! ادع إلهك الذي ترهبت له أن يصرف عني كيد هذا السبع فقد ترى ما يصنع بي . قال : فرفع الراهب رأسه إلى السماء ثم أدخل يديه تحت لحيته و بكى حتى بلّها ، والسبع جاثم على الغلام لم يحدث شيئًا . ثم ناداه بالعبرانية أو قال بالسريانية : أنت تعلم يا إله الأولين والآخرين أنه إنما استغاث بك ، ولكنه جعلي وسيلة في بينك وبينه فأغثه يا مغيث المستيغثين وخلصه من كل عدو مبين . قال : فوثب السبع عنه ينفض ذنبه . ثم ولى ولم يضره شيئًا.

١٧ – عن عبد ربه العابد قال :

سألت بعض الرهبان عن لبس السواد قال منتهى الحرقة : ألا ترى إلى أهل المصيبة إذا مات له م الميت كيف يسوِّدون ويغيرون ؟ قال : وسألت آخر عنه فقال : يا هذا ؟ إن لباس أهل النار السواد ، فأحب العاملون لله أن يشعروا قلوبهم بذلك كلما نظروا إلى ذلك اللباس عليهم.

18 – حدث إبرهيم بن زيد السلولي ، و كان من البكائين عند الذكر ، قال :

سألت راهبًا رأيته في كنيسة بالرّها قلت : ما بالكم تبدؤون قراءة الإنجيل بالسكينة والرفق ثم لا تلبثون أن ترتفع أصواتكم وتصيحون صياحًا شديدًا ؟ قال فقال لي : لقد تفقدت من ذلك أمرًا ما يتفقده إلا العالمون بالله و بآياته . أما علمت ، رحمك الله ، أن الاستغاثة لا تكون إلا بالضجيج والصراخ؟ فعلمت الذي أراد .

19 – عيسى بن مالك الخولاني ، قال :

رأيت على باب بيت المقدس راهبًا باكيًا فقلت : أيها الراهب ! أوصني . فقال : يا أخي ! إنما أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فيفترسه السباع أو يسهو فتنهسه الهوام ، فهو مذعور القلب وَجِل . ليله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون ، ونهاره نهار حزن إذا فرح فيه الباطلون . ثم ولى وتركني . قلت : لو زدتني شيئًا عسى أن تنفعني به . قال : الظمآن يجزيه من الماء أيسره[١٨] .

٢٠ – عن عطاء الخراساني قال :

إن رجلاً من بني إسرائيل ترهب واعتزل في صومعته ، فعبد الله فيها سبعين عامًا حتى أقعد من رجليه. فقيل له : سل حاجتك ، قال : حاجتي أن ترد عليّ أركاني فأعبد الله عليهما إلى حين أجلي ، قال : فردت عليه رجلاه فبكى حتى عمي ، فقيل له : سل حاجتك ، قال : المغفرة . قيل[١٩]: سل غيرها فقد أعطيتها . فقال : أسأل أن يغاث الناس ، وكان عام جدب ، فأغيثوا[٢٠] .

---

(١٨) أورد هذا الخبر في «الإحياء» ثم قال: وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى مخافة والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحوناً بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك في قبرك وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل وإلا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلاً عن ظاهر بشرتك والسلام .

(١٩) في المطبوع: (قليل).

(٢٠) رواه ابن الجوزي في «البر والصلة» (380) من طريق ابن أبي الدنيا عن مسعر أن عابدا كان يتعبد في جبل يؤتى كل يوم بقوته قرصين، كان يأتيه به طير أبيض، فأتاه ذات يوم بقوته، فجاءه سائل، فأعطاه أحد القرصين، ثم أتاه سائل آخر فكسر القرص الثاني نصفين، فأعطاه النصف، وأبقى لنفسه النصف، ثم قال: والله ما هذا النصف بالذي يغني عني شيئًا، ولأن يشبع واحد خير من أن يجوع اثنان، فسلم القرص للسائل، وبات طاويًا، فأتى في منامه، فقيل له: سل، قال: أسأل

٢١ – عن وهب بن منبه قال:

تعبد رجل في بني إسرائيل زماناً ثم بدت إلى الله حاجة فصام سبعين سنة يأكل.... ـ ت[٢١] إحدى عشرة تمرة . ثم سأل حاجة فلم يعطها . فرجع إلى نفسه فقال : منك أتيت. لو كان فيك خيرًا أعطيت حاجتك. فنزّل الله عند ذلك ملك فقال : يا ابن آدم ! ساعتك هذه خير من طاعتك التي مضت ، وقد قضى الله حاجتك[٢٢] .

٢٢– عن زيد بن أسلم[٢٣] ، عن أبيه قال :

كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته ، فمكث بذلك زماناً طويلاً ، فأشرف ذات يوم من صومعته فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهم بإخراج رجله من صومعته لي نزل إليها ، فتداركه الله بسابقته ، فقال : ما هذا الذي أريد أن أصنع ؟ فرجعت إليه نفسه وجاءته العصمة فندم ، فلما أراد أن يعيد رجله في الصومعة قال : هيهات هيهات ! رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود معي في صومعتي؟ لا يكون والله ذلك أبدًا ، قال : فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الرياح

المغفرة. فقيل له: إن هذا شيء قد أعطيته، فسل، قال: أسأل أن يغاث الناس، وكان عام جدب، فأغيثوا . وفي «المجالسة» (650) جعله من كلام عون بن عبد الله.

(٢١) عند ابن أبي الدنيا في كتاب «محاسبة النفس» (60): فصام سبعين سبتًا يأكل كل سبت إحدى عشرة تمرة.

(٢٢) ورواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (158) ولفظه: إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سبتًا، يفطر في كل سبعة أيام، وهو يسأل الله أن يريه كيف يغوي الشياطين الناس؟ فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال: لو اطلعت على خطيئتي وذنبي، وما بيني وبين ربي لكان خيرًا لي من هذا الأمر الذي طلبته، فأرسل الله إليه ملكًا، فقال له: إن الله أرسلني إليك، وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إلي مما مضى من عبادتك، وقد فتح الله بصرك فانظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض، وإذا ليس أحد من الناس إلا وهو حوله الشياطين مثل الذبان، فقال: أي رب، من ينجو من هذا؟ قال: الوادع اللين.

(٢٣) عند ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (49): عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: " كان في بني إسرائيل ...

والأمطار والشمس والثلج حتى تقطعت[٢٤] ، فشكر الله على [٢٥] ذلك ، فأنزل الله في بعض كتبه : (وذا الرجل) يذكر بذلك[٢٦] .

٢٣ – قال مالك بن دينار :

قال بعض الرهبان : إني وجدت في بعض كتب الحكمة : لا خير لك أن تعلم ما لا تعمل ولا تعمل ما علمت ، فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطبًا فحزم حزمة ذهب ليحملها فعجز عنها ، فضم إليها أخرى[٢٧] .

24 – عبد الله بن قيس يقول :

قال علي رضي الله عنه في هذه الآية : {قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالاً}[٢٨] قال : هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في السواري[٢٩] .

تم المنتقى من كتاب الرهبان

---

(٢٤) في «محاسبة النفس»: (حتى تقطعت فسقطت).

(٢٥) في «محاسبة النفس»: (فشكر الله له ذلك).

(٢٦) في «محاسبة النفس»: (فأنزل في بعض الكتب: {وذو الرجل} يذكره بذلك).

(٢٧) رواه الخطيب في «الاقتضاء» (86) من طريق ابن أبي الدنيا. ورواه أحمد في «الزهد» (276) وأبو نعيم في الحلية» (2/ 374) و (2/ 375).

(٢٨) [سورة الكهف:103].

(٢٩) رواه الطبري في «التفسير» (18/ 126)، وعنده: (حبسوا أنفسهم في الصوامع).